المشهد
العدد 351 السنة الرابعة عشرة – الجمعة 1 مايو 2026 م – 14 ذو القعدة 1447 هـ

قالت العرب

"تُنسى كأنك لم تكن / تنسى كمصرع طائر / ككنيسة مهجورة تنسى / كحب عابر
/ وكوردة في الريح / وكوردة في الثلج / تنسى
"محمود درويش"

في الشرق الأوسط لا تبدأ الحروب فجأة.. بل تتراكم ببطء طبقة فوق أخرى من التوتر حتى تصل إلى لحظة انفجار تبدو وكأنها مفاجئة.. بينما هى فى الحقيقة نتيجة مسار طويل من الصراعات المؤجلة والتحالفات القلقة.

ما يجرى اليوم ليس تصعيدا عابرا، بل اختبار مفتوح لشكل المنطقة وحدود توازنها،

فحين تكون إيران طرفا فى المعادلة لا تبقى المواجهة محصورة.. بل تمتد عبر شبكة نفوذ معقدة تتداخل فيها حسابات الإقليم مع صراعات القوى الكبرى.

فى الخلفية تتحرك إسرائيل باعتبارها طرفا يرى فى التصعيد تهديدا وجوديا أو فرصة لإعادة ضبط قواعد الاشتباك.. بينما توازن الولايات المتحدة بين تجنب حرب شاملة والحفاظ على نفوذها... فى وقت تراقب فيه روسيا والصين المشهد كفرصة لإعادة ترتيب موازين القوة عالميا..

تصاعد الدخان من ميناء جبل علي في دبي. ١ مارس ٢٠٢٦

حين تشتعل الجغرافيا .. قد تنتقل الأزمة من حرب محدودة إلى فوضى إقليمية مفتوحة

هل تعيد حرب إيران تشكيل الشرق الأوسط أم تفضح هشاشته؟

السفيرة منى عمر: نحن فى زمن "إعلاء المصالح" لا المبادئ، ومنطق القوة هو من يكتب "دبلوماسية التنازلات"

السفير معتز أحمدين خليل: واشنطن تطلب الوساطة بعد "صدمة" الرد الإيراني.. والمنطقة مقبلة على "إدارة الأزمة" لا حلها..

د. أمانى الطويل: "واجهة" لصراع دولى على الممرات والطاقة.. والمنطقة مقبلة على "عقد من الفوضى" لخنق روسيا والصين

السفير حسين هريدي: نووى طهران مجرد واجهة.. والهدف إخضاع القوة الأخيرة التى تعيق إعادة تشكيل الشرق الأوسط الكبير..

السفير رخا حسن: شبح "الخراب الشامل" يطارد الشركات الأمريكية.. وترامب مضطر لقبول "المقايضة الإيرانية

مصطفى الفقى يصف إيران بالكيان ويقول عن الأزمة: "زلزال كاشف" لصراعات بدأت عام 79.. وطهران فى فخ "التشنج السياسي"

وسط هذا التشابك لا يعود السؤال.. من سينتصر؟ بل ماذا سيتبقى أصلا عندما تهدأ النيران؟

الإجابة على هذه التساؤلات المعقدة تبدأ من قراءة التاريخ والواقع معا.. وهو ما يطرحه الدكتور مصطفى الفقي.. المفكر السياسى والدبلوماسى المخضرم.

من منظور تاريخى وفكرى عميق.. يرى الدكتور مصطفى الفقى سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات الأسبق ان ما تشهده المنطقة اليوم ليس وليد الصدفة بل هو انفجار لبركان من التوترات الهيكلية..

و يعتبر د. الفقى أن الأحداث الراهنة تمثل رؤية كاشفة وليست منشئة.. موضحا أن المنطقة تعيش على صفيح ساخن من التوتر منذ عام ١٩٧٩.. أى منذ قيام الجمهورية الإسلامية فى إيران، هذا الكيان – كما يصفه الفقى – أثار قلقا مزمنا لدى قوى عديدة فى مقدمتها إسرائيل وصولا إلى دول عربية لم تكن مستريحة للطموحات النووية الإيرانية ورغبتها فى التمدد والسيطرة عبر أذرعها فى المنطقة، وعلى رأسها حزب الله...

ويطرح د. الفقى علامة استفهام كبرى حول السلوك الإيرانى الأخير.. مستغربا إقدام طهران فى هذه المرحلة الحساسة على توجيه ضربات لدول خليجية عربية.. قائلا: لا أعلم بأى منطق أقدمت إيران على استهداف دول الخليج فى هذا التوقيت، فالعقل السياسى يقتضى فى الأزمات الكبرى تقليل الخصوم والخسائر، بينما فعلت إيران العكس تماما.. لا يوجد تفسير منطقى لهذا السلوك إلا حالة التشنج والتوتر الشديد التى تسيطر على المنطقة، والتى دفعت الأمور نحو هذا المنزلق الخطير...

لكن هذه القراءة التى تعيد جذور الأزمة إلى التاريخ.. لا تجيب وحدها على سؤال اللحظة الراهنة.. فالتوتر المزمن لا يفسر بالضرورة شكل الانفجار، ولا إلى أى مدى يمكن أن يصل...

وهنا ينتقل النقاش من لماذا حدث ما حدث؟ إلى إلى أين يمكن أن يذهب؟

فى هذه النقطة تحديدا تتباين التقديرات.. فبينما يرى البعض أننا أمام لحظة قابلة للانفجار الشامل يميل آخرون إلى الاعتقاد بأن سقف التصعيد ما زال محكوما بحسابات الردع... لا الرغبة فى الانتحار الجماعي.

هذه الهشاشة التى تحدث عنها الفقي.. تدفعنا للتساؤل عن حدود التصعيد.. وهنا يقدم السفير رخا أحمد حسن مساعد وزير الخارجية الأسبق وعضو المجلس المصرى للشؤون الخارجية.. قراءة مغايرة تستبعد خيار الحرب الشاملة معتبرا أن المشهد الراهن يتجاوز مجرد الصدام العسكرى العابر إلى كونه صراعا يعيد رسم وجه المنطقة.. وفى تحليله للموقف يستبعد السفير رخا العودة إلى خيار الحرب الشاملة، معتبرا أن استئناف القتال سيعنى دمارا شاملا يطال دول الخليج والمنطقة بأسرها.

ويشير السفير إلى أن التهديدات الإيرانية كانت واضحة.. ففى حال نفذ الرئيس ترامب وعيده بضرب البنية التحتية للطاقة (كهرباء و غاز و نفط).. فإن الرد الإيرانى سيستهدف الدول العربية المحيطة.. ما يعنى دخول المنطقة فى حالة من الخراب الشامل..

وحول التحركات الدبلوماسية.. يوضح السفير أن الحديث عن إرسال وفد أمريكى برئاسة نائب الرئيس إلى إسلام آباد يصطدم حتى الآن بعدم تأكيد إيرانى للمشاركة، طالما استمر الحصار البحرى الأمريكى على الموانئ الإيرانية. ويطرح السفير تساؤلا جوهريا.. هل تستجيب واشنطن وترفع الحصار لتمهيد الطريق للمفاوضات.. أم ستتفذ تهديدها بتدمير المنشآت إذا لم يتم التوصل لاتفاق بانتهاء موعد يحدده ترامب؟..

ويرجح السفير رخا أن يختار ترامب التهدئة ليس رغبة فى السلام بذاته، بل لتجنب آثار مدمرة ستطال الشركات الأمريكية العاملة فى الخليج وإفريقيا وآسيا وأوروبا نتيجة القفزة الجنونية المتوقعة فى أسعار الطاقة، أضف إلى ذلك الضغوط الداخلية والاستياء فى أوساط الحزب الجمهورى خشية فقدان الأغلبية فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس (مجلسى الشيوخ والنواب).. ٢٠١٨.. والذى اعتبره "نقطة البداية" فى استراتيجية الإطاحة بالحكم فى طهران وإجبارها على الاستسلام التام.

وفى تشخيصه لمستقبل المنطقة.. يستبعد السفير الوصول لتوازن ردع قريب.. معتبراً أن الهدف الحقيقى هو إبقاء المنطقة فى حالة عدم استقرار أمنى وسياسى مستدام، وتعد القوة العسكرية الإسرائيلية هى الأداة التنفيذية لهذا التوجه، مدعومة بمساندة أمريكية شاملة سياسيا ودبلوماسيا وعسكريا بل وحتى إعلاميا...

هذه الرؤية تطرح سؤالا مقلقا.. إذا كان الهدف يتجاوز السلوك الإيرانى إلى إعادة تشكيل الإقليم.. فهل نحن أمام حرب لها نهاية؟ أم أمام مسار مفتوح يعاد فيه إنتاج الصراع بأشكال مختلفة دون توقف حقيقي؟

رغم هذا الطرح الحاد.. لا يزال هناك من يرى أن المسار لم يغلق بالكامل أمام الدبلوماسية، وأن لحظات التصعيد القصوى.. قد تكون أحيانا هى نفسها بوابة التفاوض..

وعلى وقع هذا الطموح الأمريكى لتغيير قواعد اللعبة.. يرى السفير معتز أحمدين خليل مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة سابقا أن المنطقة قد بلغت بالفعل ذروة التصعيد مع اندلاع المواجهة (الأمريكية الإسرائيلية) ضد إيران وما تلاها من ردود إيرانية طالت القواعد الأمريكية والبنى التحتية وصولا إلى إغلاق مضيق هرمز.. لكنه فى الوقت ذاته يفتح نافذة مغايرة للاحتمالات، مؤكدا أن فرصة الجهود الدبلوماسية لا تزال قائمة خاصة وأن واشنطن فوجئت بصلابة النظام وقدرته على الرد..

ويضيف السفير خليل أن هذا المشهد لا يمكن فصله عن استمرار العدوان الإسرائيلى على لبنان، وكذلك العدوان على فلسطين الذى لم يتوقف، بل يتفاقم فى الضفة الغربية كما هو الحال فى قطاع غزة.. ويؤكد أن ما ينقص لرفع مستوى المواجهة إلى مرحلة أخطر هو إقدام الولايات المتحدة على التوغل البرى داخل الأراضى الإيرانية..

ورغم هذا التصعيد يشير السفير إلى أن فرصة الجهود الدبلوماسية ما زالت قائمة، خاصة أنها تتم بناء على طلب وتكليف من الولايات المتحدة التى فوجئت بصلابة النظام الإيرانى وقدرته على الرد المؤثر إقليميا ودوليا وإن كان هذا الرد غير متكافئ نتيجة الاختلال الكبير فى ميزان القوى...

ومن جهة أخرى.. يرى أن من مصلحة إيران أيضا التوصل إلى وقف إطلاق نار أو هدنة مؤقتة تتيح لها التقاط أنفاسها وإعادة ترتيب أوضاعها بعدما لحق بها من دمار نتيجة القصف المتواصل من طرفى الصراع بوصفهما من أقوى القوى العسكرية فى المنطقة والعالم. وبناء عليه يخلص إلى أن المجال سيظل مفتوحا أمام التحركات الدبلوماسية للتوصل إلى فترات متقطعة من وقف إطلاق النار، وربما بلورة أطر تفاوضية ممتدة وإن كانت دون حسم نهائى فى ظل التباين العميق فى مواقف الأطراف...

ويؤكد السفير أن الحل الأمثل لوقف الحرب بصورة مستدامة وإعادة الاستقرار إلى المنطقة يتطلب معالجة شاملة لكل الملفات فى وقت واحد، وفى مقدمتها ملف إسرائيل وضرورة وقف العدوان الإسرائيلى المتواصل على دول المنطقة والذى يسمح لها – بحسب تعبيره – بضرب من تشاء وقتما تشاء وأينما تشاء وهو ما لا يمكن أن يستقيم مع أى تصور للاستقرار أو التعايش الطبيعي، لأنه يبقى حالة المقاومة قائمة كاستجابة طبيعية لهذا السلوك.

كما يشدد على ضرورة أن يشمل أى حل شامل إعادة تنظيم العلاقة بين إيران والدول العربية.. وخاصة دول الخليج، بما يتضمن التوصل إلى تفاهمات واضحة تقوم على التزامات متبادلة بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية.. أو السعى إلى إسقاط الأنظمة، أو دعم أو تشجيع أى حركات تمرد..

ويصف السفير خليل هذا الإطار بأنه الحل الأمثل نظريا لإرساء الاستقرار فى المنطقة.. لكنه يقر فى الوقت نفسه بأن هذا الحل الجذرى لا يبدو مطروحا بشكل واقعى فى المرحلة الحالية، ويرجع ذلك من وجهة نظره إلى تمسك أطراف فى المعسكر الغربى بهدف تغيير النظام فى إيران، فى مقابل تمسك إيران بسياسة الرد الشامل انطلاقا من قناعتها بأنها تواجه تهديدًا وجوديا..

وبناء على ذلك يتوقع السفير خليل استمرار ما يسميه إدارة الأزمة عبر التوصل إلى فترات متقطعة من وقف إطلاق النار قد تطول أو تقصر.. مع بقاء المنطقة فى حالة "لا سلم ولا حرب" على غرار فترات سابقة امتدت من يونيو ٢٠٢٥ إلى مارس ٢٠٢٦ تتخللها محاولات تصعيد جديدة أو تحركات تستهدف إسقاط النظام، يقابلها ردود إيرانية تتناسب مع حجم التهديدات، إلى أن تتبلور قناعة مشتركة بضرورة معالجة جذور الأزمة بدلا من الاكتفاء بإدارتها...

لكن حتى هذا السيناريو... لا يعدو كونه إدارة للأزمة لا حلا لها..وهو ما يعيد طرح المعضلة الأساسية.. هل يمكن تثبيت هدنة فى صراع لم تحل أسبابه أصلا؟

وإذا كانت الدبلوماسية لا تزال تتحرك، فإن السؤال لم يعد فقط عن قدرتها بل عن طبيعتها نفسها،

هل ما زلنا أمام دبلوماسية تقليدية... أم أمام شكل جديد تحكمه موازين القوة الصلبة؟

وإذا كانت إدارة الأزمة هى المسار المتاح حاليا.. فإن السفيرة منى عمر مساعد وزير الخارجية للشؤون الأفريقية الأسبق ترى أن ما نعيشه يتجاوز الصراع الميدانى واصفة المشهد بـ "الزلزال الذى يضرب أركان العمل العربى المشترك ومنطق القانون الدولي"..

تستهل السفيرة رؤيتها بالإشارة إلى أن الاعتداءات المتبادلة بين إيران من جهة، وإسرائيل والولايات المتحدة من جهة أخرى.. خلفت تداعيات مباشرة على "الوكلاء" الإقليميين.. فإضعاف جماعات مثل حزب الله والحوثيين قد يفتح من وجهة نظرها نافذة لإعادة الاستقرار فى تلك الدول لكنها ترهن ذلك بتوقف المجازر والاعتداءات الإسرائيلية خاصة فى جنوب لبنان والتى تعيد خلط الأوراق باستمرار.

وتضيف السفيرة عمر أن التصعيد الإيرانى الأخير أحدث شرخا عميقا فى العلاقات الإيرانية – الخليجية.. فبينما كانت المنطقة تحاول احتواء الخلافات التاريخية حول الجزر أو التوسع المذهبى جاءت الاعتداءات المباشرة لتنسف جو التضامن وتزيد من مشاعر الفرقة، ليس فقط مع دول الخليج بل مع عموم الدول العربية التى استنكرت هذا المسلك.

وعند سؤالها عن قدرة الدبلوماسية على احتواء هذا التصعيد ترسم السفيرة صورة قاتمة لمستقبل القانون الدولى مؤكدة: نحن أمام مرحلة لم يعد فيها أحد يحترم المبادئ أو القانون الدولى حيث بدأت كل دولة فى إعلاء مصلحتها الوطنية الصرفة فوق أى اعتبارات أخرى.. هذا التوجه سيؤدى بالضرورة إلى إضعاف النظام الدولى والنظام العربى بصفة خاصة، مما يفقد آليات مثل جامعة الدول العربية الكثير من أهميتها وتأثيرها فى المرحلة القادمة.

وتوضح السفيرة منى عمر أن الدبلوماسية نفسها لم تعد بمنأى عن منطق القوة فالتفاوض اليوم لم يعد نقاشا حول الحقوق بل أصبح انعكاسا لموازين القوى على الأرض، حيث يجبر الطرف الأضعف دائما على تقديم التنازلات الكبرى..أما عن نهاية الصراع فتميل السفيرة منى عمر إلى سيناريو المزيج المعقد، حيث تتوقع أن المنطقة مقبلة على إعادة تشكيل التوازنات.. بناء على فرض المصالح الوطنية لكل طرف بعيدا عن الشعارات القومية، ومرحلة من الفوضى الانتقالية.. خاصة فى الدول التى أصاب التدمير أنظمتها أو أضعف قواها الرئيسية.. ففى إيران يواجه النظام السياسى والاقتصادى ضغوطا داخلية وهيكلية حادة... أما فى لبنان فترى السفيرة أن انهيار حزب الله باعتباره كان قوة مؤثرة سيخلق فراغا يؤدى بالضرورة إلى حالة من الفوضى وظهور محاور قوى جديدة قبل أن تستقر الأمور فى نهاية المطاف على واقع مغاير تماما لما سبق.

دخان يتصاعد بعد هجوم صاروخي على مركز خدمة الأسطول الخامس الأميركي في المنامة. ٢٨ فبراير

ورغم هذا التفاؤل الحذر بالاستقرار بعيد المدى ترفض السفيرة فرضية تقسيم الدول العربية كحل حتمى مؤكدة أن دولا مثل مصر عصية تماما على مثل هذه السيناريوهات، وحتى فى حالة لبنان فإن الانقسام بين الشمال والجنوب لن ينهى فكرة لبنان الواحد.. بل قد يدفع الدولة فى النهاية نحو قدر من التماسك والوحدة بعد زوال مسببات الانقسام الحالي...

فى هذا السياق.. يبدو أن المنطقة لا تعيش فقط صراعا عسكريا، بل تحولا أعمق فى قواعد اللعبة ذاتها...

حيث تتراجع المفاهيم القديمة لصالح واقع أكثر سيولة وأقل قابلية للتنبؤ..

غير أن الاكتفاء بقراءة الصراع داخل حدوده الإقليمية قد يكون مضللا، فالمشهد فى جوهره يتقاطع مع تحولات أوسع، تتجاوز الشرق الأوسط إلى بنية النظام الدولى نفسه.

هذا الزلزال الذى ضرب أركان المنطقة لا تتوقف ارتداداته عند الحدود العربية بل تمتد لتلامس موازين القوى العالمية، وهنا تنقلنا الدكتورة أمانى الطويل الباحثة بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية من الحسابات الإقليمية الضيقة إلى فضاء التنافس العالمى معتبرة أن ما يحدث فوق رمال الشرق الأوسط تحركه طموحات العواصم الكبرى.

ترى الدكتورة أمانى أن أهداف الحرب المرتبطة بإيران تتجاوز مجرد إعادة توزيع الأدوار إقليميا.. إذ تربطها بشكل مباشر بالصراع الدولى بين الولايات المتحدة من جهة وروسيا والصين من جهة أخرى، فالمستهدف الحقيقى حسب قراءتها هو السيطرة على الممرات البحرية ومنابع الطاقة، خاصة وأن إيران تمتلك ثالث أكبر احتياطى نفطى عالمى وتتحكم فى مضائق حيوية.

وتضيف الطويل أن التحرك الأمريكى وإن بدا ملبيا لطموحات إسرائيل القيادية فى المنطقة، إلا أنه يخدم استراتيجية واشنطن الكبرى فى محاصرة الصين.. عبر التحكم فى إمدادات الطاقة وتطويق مشروع الحزام والطريق الذى يراه الغرب مشروع هيمنة صينى. وكذلك خنق روسيا من الجنوب.. حيث أن إضعاف إيران سينعكس مباشرة على نفوذ موسكو فى محور بحر قزوين.. ويمنح واشنطن أوراق ضغط إضافية فى صراعها الوجودى مع روسيا.

وتحذر الدكتورة أمانى من تمدد هذا المشروع ليصل إلى القرن الأفريقى والبحر الأحمر.. حيث تسعى الاستراتيجية الأمريكية – الإسرائيلية إلى تطويق البحر الأحمر من جنوبه وشماله مما يضع الدول المشاطئة وعلى رأسها الدول العربية أمام تحديات حقيقية تمس وزنها الجيوسياسى وقدرتها على حماية مصالحها فى العمق الأفريقي.

وعن مستقبل هذا الصراع.. لا تتوقع الدكتورة أمانى احتواء سريعا، بل ترسم جدولا زمنيا يمتد لعقد من الزمان على أقل تقدير قائلة: نحن أمام حالة صراع ممتدة لعشر سنوات على الأقل.. حتى تتبلور ملامح الخرائط الجديدة.. ما نراه اليوم هو إزاحات جيوسياسية وتغيير فى الأوزان الإقليمية لكن الأثر الاستراتيجى الأعمق سيظهر لاحقا فى شكل الاستجابة الروسية والصينية لهذه التحركات.. فهما واعيان تماما أن الهدف النهائى هو تقويض نفوذهما العالمي..

بهذه القراءة لا تعود الحرب مجرد نزاع إقليمي... بل تتحول إلى ساحة اختبار لإعادة توزيع النفوذ عالميا... وهو ما يفسر لماذا تبدو نهايتها بعيدة أو مؤجلة.

بين كل هذه القراءات... لا يبدو أن هناك إجابة واحدة قاطعة، بل شبكة من الاحتمالات المتداخلة، كل منها يعكس زاوية من مشهد أكثر تعقيدا مما يبدو.

ربما لا تكون المشكلة فى أن هذه الحروب لا تنتهي، بل فى أنها لا تحسم... تترك خلفها واقعا هشا قابلا للاشتعال فى أى لحظة.

وكأن المنطقة لا تغادر الحرب، بل تغير شكلها فقط... وفى هذه المسافة بين نهاية مؤجلة وبداية مستمرة..

يظل السؤال مفتوحا.. هل ما نشهده الآن هو ذروة الصراع، أم مجرد فصل جديد منه؟

تحقيق: مادونا شوقي